أحمد بهجت

شاهد على عصر مناخ إسلامي

تاريخ التسجيل ١٩٨٨

obeikandl.com

★ أنطوان تشيكوف مسلم !!

★ الركب كثير والحاج قليل !!

★ قل لى كيف تعامل الحيوان أقل لك درجة رقيك !

★ العدل مطلوب لإطلاق طاقات الناس .

★ العبادة أثناء النوم !

obeikandl.com

شاهدنا على العصر فى هذه الحلقة هو صاحب القلم الساخر المتميز، وصاحب «كلمتين وبس» و«مذكرات صائم» و«أنبياء الله» ، وهو الكاتب الفنان والمتصوف والتى ترجمت مؤلفاته إلى أكثر من لغة . .

ولد فى القاهرة سنة ١٩٣٢ وتخرج فى القاهرة سنة ١٩٥٦ ، وقبل ذلك بعام أجريت مسابقة فى القصة القصيرة فاز بها ، ومنها دخل باب الصحافة سنة ١٩٥٥ إلى معقل «أخبار اليوم» وانتقل منها إلى «صباح الخير» ثم إلى «الأهرام» من عام ١٩٥٨ وحتى الآن ، له ثلاثون كتاباً أشهرها : «أنبياء الله» وكتاب «الله فى العقيدة الإسلامية» والذى ترجم إلى اليوغسلافية ، و«مذكرات صائم» ، و«قصص الحيوان فى القرآن» و«بحار الحب عند الصوفية» و«مذكرات زوج» فضلاً عن كتب الرحلات وكتب الأطفال .

لنا معه حوار نرجو أن يستوعب شهادته على عصرنا .

●●● إطلالة طائر على أهم مايموج به العصر :

ـ أنا أتصور أننا نعيش فى عصر مخاض إسلامى كبير ، وهذا المخاض

يأخذ أكثر من شكل ويبدو أحياناً بشكل تقلصات ، وأحياناً يبدو بشكل فيه بعض الألم . . ولكن هذا كله سوف ينتهى إلى الولادة الطبيعية . . نحن نعيش فى عصر تميزه أشياء كثيرة ، فى نفس الوقت الذى تولد فيه الصحوة الإسلامية ، وتولد فيه فكرة المشروع الحضارى للإسلام . .

فى نفس الوقت نلاحظ على العصر أن هناك ابتعاداً عن القيم الأصيلة فى الإسلام إلى قيم ليست من الإسلام فى شىء ؛ نلاحظ مثلاً أن القول أحياناً يأخذ مكان الفعل ، ونتصرف كثيراً كشعراء العصر الجاهلى الذين كانوا يقولون مالا يفعلون . ، وهناك أيضاً حب شديد للإسلام وعمل قليل ، أى أننا نعيش فى عصر متضارب متناقض ، وأحياناً يكون الكلام فيه عكس الفعل وأنا أتصور أن هذا كله طبيعى فى حالة المخاض .

●●● الصحوة الإسلامية :

● لكن أليس هذا تناقضاً ؟ . . كيف تكون صحوة وتصاحبها هذه الظاهرة السلبية من انفصال بين الشكل والجوهر ؟

ـ أنا أتصور أنه لاينسحب عليها . . فالصحوة الإسلامية تدعو إلى أن يكون الإسلام مشروعاً حضارياً متكاملاً بمعنى أن يكون عقيدة داخلية وأن ينعكس أثره فى الحياة ، لأن التوحيد قيمة الإسلام ، والتوحيد ليس فكرة مجردة تعبر ذهن الإسلام أو تأتى كأمواج ثم تعود ، إنما التوحيد لابد أن يظهر أثره فى الحياة الفعلية الواقعية ، ولابد أن يتحول فيها إلى تغيير مطلق وشامل لكل شىء . وهذه التجربة موجودة ، فنحن مثلاً

نقول إن القوة لايمكن أن تتصدى لها إلا بالقوة، ولننظر إلى تجربة ثوار أفغانستان، هؤلاء الثوار يقفون أمام إحدى القوتين العظميين فى العالم وهم جوعى وفقراء وغير مسلحين ، ورغم ذلك استطاعوا أن ينالوا من القوة الباغية وأن يهزموها فى أكثر من معركة ، إذن الحق وفكرة التوحيد يمكن أن تكون سبباً إلى القوة لا بديلاً عنها والله سبحانه وتعالى يقول :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وأعدوا لهم ما أستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ﴾ .

صدق الله العظيم

نلاحظ على الآية أن الفكرة ، فكرة القوة فى الإسلام ، هى أن تكون لديك قوة تكفى فى حد ذاتها لإرهاب العدو ، أى لاتستخدمها إلا مضطراً ، الإسلام لايلجأ للقوة إلا إذا ارتفع السيف ضده .

● **يعنى هى القوة للإرهاب فقط ؟**

ـ هو المفروض أن يكون المسلمون أقوياء إلى درجة تجعل جميع العالم لايحاول الاعتداء عليهم ، أى قوة لاتستخدم إلا فى حالات الدفاع الشرعى عن النفس ، هذه الفكرة غير واضحة فى أذهاننا ، فكرة تحول التوحيد إلى عمل فى الحياة اليومية ، أيضاً الفكرة ليست واضحة فى أذهان الكافة من الناس أو العامة من الناس ، لأن التوحيد إذا اقتصر على أن يكون علاقة بين الإنسان وربه سيصبح تعبداً وصلاة فقط ، إنما

يجب أن يتحول التوحيد من الصلاة أو مجرد الصلاة ، أى أن النمو الطبيعى مطلوب ، فيبدأ كصلاة وينتهى كتغيير فى الحياة ، وكمجتمع جديد ، وقيم وأفكار جديدة ، لابد أن يحدث هذا .

● **هل الكاتب الكبير أستاذ أحمد بهجت يرى أن تيار الصحوة الإسلامية المعاصر قد استوعب هذه الحقيقة ؟ وما تفسيرك لهذه التطرفات التى نراها هنا وهناك ؟**

ـ فى تصورى أن تيار الصحوة فى مجموعه أو فى معظمه تيار سليم ، هناك غلو وهناك تطرف لأسباب عديدة ، منها نقص القيادات الدينية ، نقص العلماء ، الفهم السقيم أحياناً لبعض أفكار الدين أو بعض الخصائص الأصيلة للدين ، كل هذا فى أطراف المجتمع ، أى أنها ليست ظاهرة عامة ، بالعكس ، فإن الصلاة والمتطرفين والمتشددين يجب أن يكون لهم مكان ، بمعنى أن الأغلبية العظمى هم المعتدلون ، لكن هناك مكان للمتشددين على اليمين واليسار ، ويكون هناك حوار ، وفى النهاية تصبح الكتلة الكبرى من الصحوة فى خط سليم .

ألا ترى كيف تُستغل فكرة الغلو فى الدول الأخرى ، فيستفيد المعتدلون من المتطرفين وتطرفهم هذا ، بل ويحصلون على أكبر مكاسب يمكن الحصول عليها ، يعنى يمكن استخدام الغلو إذا كان فى مكانه الطبيعى .

● **أستاذ أحمد بهجت هل يتطوع البرنامج بملاحظة على الإنسان**

المسلم فى هذا العصر ، سواء كان داخلاً فى تيار الصحوة الإسلامية أو غير منتسب لها ، نلاحظ دخول نوعيات جديدة من المسلمين إلى تيار الصحوة الإسلامية وإلى تيار التفكير الإسلامى مثل كثير من المثقفين ، كثير من الطبقات المهنية العليا مثل الأطباء والمهندسين . ، أليست هذه ظاهرة موجودة فى عالمنا الإسلامى المعاصر بشكل مؤثر ؟

ـ هذه آية من آيات الإسلام . ، لماذا ؟ . . لأن الجاهل لايعرف عن الله شيئاً ، والذى لايعرف عن الحياة شيئاً ولا عن أسرار المادة ، تكون صورته عن الله سبحانه وتعالى صورة بسيطة جداً وساذجة جداً ، إنما عندما يقوم طبيب بإجراء عملية جراحية ، ويتأمل ولو لمدة ثانية واحدة إعجاز الله تعالى فى الجسد الإنسانى وفى الطريقة التى يعمل بها وفى الطريقة التى يؤدى بها وظائفه فهذا أدعى أن يكون مؤمناً . يعنى أنا أرى الكثير من الأطباء والمهندسين والمدرسين يدخلون على الإسلام برؤى جديدة لأن الله سبحانه وتعالى يقول :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق من ربهم﴾

صدق الله العظيم

يعنى مثلاً أنظر للإمام الشافعى وبواب بيته وتلميذ من تلاميذه ، الثلاثة مسلمون ، إنما أيهم لديه صورة أكمل عن الله تعالى وعن معجزاته وعن إبداعاته فى الآفاق وفى الأنفس ؟ . . الشافعى ثم تلميذه فبوابه ،

فكلما ارتقى الإنسان فى العلم وفى المشاعر وفى الروح كلما وصل إلى فكرة الإيمان عن طريق فطرته السليمة .

● **تماماً ويمكن تكملة لهذه الظاهرة نلاحظ أن بعض الذين بدأوا حياتهم ـ لا أريد أن أقول بالإلحاد ـ لكن على الأقل ـ بعدم إيمان ـ هم أيضاً كبار العلماء أو المفكرين أو الفلاسفة، مصريين أو عرب أو أجانب أيضاً ، انتهوا بالعودة إلى فضيلة الدين وإلى الله سبحانه وتعالى . .**

ـ ولذا نلاحظ أن الرقى يكون إلى الله تعالى ، يعنى مثلاً عندما تقرأ لكاتب مثل «أنطون تشيكوف» . . كاتب روسى يعيش فى ظل الحضارة المسيحية ، لكنه يعرف طريقه إلى الحقيقة بفطرته السليمة وبعبقريته ، هذا الرجل عندما تقرأ أعماله تشعر وكأنما كاد أن يكون مسلماً ، لكثرة الحنان الذى فى قلبه على الخلائق ، هذا شعور إسلامى ، الأسلوب الذى يتحدث به عن الناس ، الأسلوب الذى يصور به حركة النفوس ومحاولاتها دائماً أن ترتقى ، هذه الأشياء كلها تشعرك أن الرجل أدرك الحقيقة إلى هذا المجد ، إن معرفة الله سبحانه وتعالى مجد ، مجد لايعرفه إلا أصحاب الأرواح الراقية ، أما الناس الغارقون فى اللحظة الحاضرة فهم أقرب ما يكونون إلى الحيوانات ، لأن الحيوان لايعيش إلا اللحظة الحاضرة، لا ماض ولا مستقبل ولافكر ولاتأمل ، إنما الإنسان مختلف، فهو بوصفه أرقى الكائنات فهو المهيأ لأن يتلقى فكرة الوجود ، وأن يتعبد وأن يدرك أن أوامر الحق له هى مجد له .

● **يمكن الأستاذ أحمد بهجت ذكرنا الآن بظاهرة من ظواهر العصر ، وهى عودة بعض المجتمعات الملحدة إلى الدين ، ولقد ذكرت «تشيكوف» ونحن الآن أيضاً نـرى مايحـدث فى بعض المجتمعات الشيوعية من إعادة فتح دور العبادة للراغبين ، وأيضاً «روجيه جارودى» والذى جـاء ذكره والذى كان من غلاة الماركسيين ثـم أشهر إسلامه وهكذا . .**

ـ جورباتشوف فى كتابه «البريسترويكا» يحكى حكاية غريبة جداً ، يقول إنه جاءته رسالة من شخص مؤمن يقول فيها : «أنا رجل الله وأذهب إلى الكنيسة وأتعبد لله ، وأود أن أقول لك إننى معك فى فكرة التغيير وفكرة إعادة البناء » .

وما أريد قوله هو أن يشير رئيس دولة كبرى ملحد ومعترف أنه ملحد، أن يشير إلى خطاب جاءه من مؤمن ويضعه فى كتاب اسمه «البريسترويكا» هذا يعنى إدراك الاتحاد السوفيتى أن الإنسان إذا اقتطع منه الجانب الروحى يتحول إلى لاشىء مهما كان تقدمه .

المشكلة أننا نخلط ما بين الأهداف والوسائل فالدين يمثل عند المسلمين الأهداف الاستراتيجية العليا ، وهى أهداف نبيلة جداً ، لكن وسائلنا فى تحقيق هذا ضعيفة جداً ، ولذا فصوتنا لايذهب إلى العالم . انظر إلى الغرب تجد أن وسائله جبارة جداً ، فى حين أن أهدافه لاشىء ، فهى إما استعمار أو استحمار الشعوب أو إطلاق العنان للشهوات أو

إطلاق العنان للغرائز . هم ينتجون طائرات وصواريخ ، لكن التقدم المادى وحده لايكفى ، كما أن التقدم الروحى أيضاً لايكفى بدون تقدم مادى ، أى أن الوسائل لابد وأن تخدم الأهداف وأن تكون أيضاً متفقة معها .

● **نعم وهذا يؤكده ما وصل إليه العالم مؤخراً والذى يتمثل فى الدعوة لالتقاء العلم مع الدين وأن العلم أصبح يؤكد إشارات وردت فى الدين ؛ إشارات علمية واضحة تؤكد مصداقية الدين .**

ـ هو الحقيقة كل مافى الكون إشارة إلى الله تعالى ، والعلماء هم أكثر الناس معرفة بهذا ، ولذا فإن الله سبحانه وتعالى يقول :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ .

صدق الله العظيم

لأن الجاهل لايدرى شيئاً عن عظمة الله تعالى والذى لايدرى شيئاً عن عظمة الأكوان لايدرى شيئاً عن عظمة الخالق . . خالق هذه الأكوان!

●●● انفصال القول عن الفعل :

● **الكاتب الكبير أستاذ أحمد بهجت لقد ذكرت فى صدر شهادتك**

هذا الانفصال بين الشكل والجوهر والقول والفعل فكيف تجد هذه الظاهرة وأين ؟ وما ملاحظاتك عليها ؟

ـ فلنأخذ أمثلة ، تاجر يصلى ، يصوم ويتعبد لكنه يغش ، إذن ما دور الصلاة والصوم والتعبد هنا وكيف يمكن تفسير هذه الظاهرة ؟

أنا فى تصورى أن هذا التاجر لايدرك العلاقة بين كونه مسلماً ووجوب أن يكون أميناً ، أى بالتعبير الشعبى فى مصر : « هذه نقرة وتلك نقرة أخرى» ! . . لكن فى الإسلام لايوجد مثل هذا الكلام ، فالمسلم يجب ألا ينفصل قوله عن فعله ، لأن الأقوال سهلة . . سهل جداً أن أقول إننى مؤمن ، لكن عندما ترصد أفعالى تكتشف أننى لست مؤمناً . فما أريد قوله هو وجوب تطابق القول مع الفعل .

فى الإسلام نحن نرى مظاهر كثيرة جداً ؛ القسوة بين الناس ، عدم احترام الكبير ، وعدم رعاية الصغير وحبه ، عدم العطف على الحيوان ، عدم الرفق بالبيئة . ، نحن نعيش هذه الأيام فى عصر يوشك أن يكون مدمراً للبشر جميعاً ، وذلك نتيجة لتلوث البيئة وللخراب الذى يفعله الناس بها . .

هذا على مستوى البيئة ، فلننظر إلى مستوى السلوك ، على سبيل المثال ، نحن عندما نذهب للحج ، نجد الصراع على تقبيل الحجر الأسود ، المفروض أن هذا الحجر علامة يبدأ عندها الطواف ، وقد قبله الرسول عليه صلوات الله وسلامه ، ولعمر بن الخطاب رضى الله عنه فيه قول :

«والله لولا أنى رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك» هذا الحجر عليه صراع رهيب جداً والناس تتشاجر مع بعضهم البعض كى تقبله . الشيخ اسماعيل العدوى قال إن تقبيل الحجر سنة ، والصراع عليه ذنب، فكيف يمكن الوصول إلى السنة عن طريق الذنوب ؟ لايمكن ! ولايجب ولاينبغى ! المفروض أن الناس عندما ترى الزحام تشير من بعيد فقط ، لكن هناك أنانية ، هناك انتهازية عند بعض المسلمين ، هناك عدم إدراك لكونى مراقب من الله تعالى طوال الوقت لا أثناء الصلاة فحسب، فالحياة الإنسانية لاتنقسم إلى أوقات للصلاة وأوقات للغش ، إنما المفروض أن الصلاة تؤدى إلى استقامة أحوال المسلم وإلى أن يصير إنساناً أرقى مما هو وإلى أن يكون مدركاً أنه إذا كان يتعامل مع الله تعالى فى الصلاة فهو يتعامل مع عباد الله تعالى فى غير الصلاة والاثنين على نفس المستوى .

● وهؤلاء الحجاج الذين يعودون محملين ببضائع مكة كلها فى حقائبهم ؟

ـ نعم ، الشراء ! . . وهؤلاء يشترون أشياء موجودة فى مصر وبفارق بسيط فى السعر ، المفروض أن الحج عقد مع الله تعالى ، يعود فيه الإنسان إلى الله تعالى ، هذه العودة تستتبع تغير الحياة وتغير السلوك الإنسانى وارتقاء الحياة ورقى السلوك الإنسانى . ونحن نلاحظ أن عدد الحجاج هذه الأيام يزيد ، فهل حياتنا عموماً ترتقى أكثر ؟ فإن لم تكن

ترتقى فمعنى هذا أن كلمة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ـ عندما وقف يوماً يتأمل الحجيج ـ تنطبق علينا ، حيث قال :

«الركب كثير والحاج قليل» فهناك ناس تذهب للحج بهدف السياحة، وآخرون للتجارة ، وآخرون للسمعة من أجل اللقب ليقال له «يا حاج» ! لكن كلمة «حاج» هى دليل على أداء النسك وليست لقباً، ولاينبغى أن تكون لقباً . فأنا لا أقول لشخص يصلى أهلاً بالمصلى، أو بالصائم أو المزكى . !

وللأسف الشديد أن كثيراً منا يتصورون أن العبادة ركن وبقية السلوك الإنسانى ركن آخر ولا علاقة بينهم ، وهذا التصور تصور غير حقيقى .

● هذا فعلاً ما استقر فى الأذهان ، ولكن أنت كمفكر إسلامى كيف تعالج هذه الظاهرة ؟ . . ظاهرة انفصال القول عن الفعل وعن السلوك؟

ـ الفهم الصحيح للإسلام وحده يقود إلى هذا ، على سبيل المثال الرسول عليه صلوات الله وسلامه ، عندما ذهب إلى المدينة مهاجراً من مكة ووصل المدينة وبدأ بناء الدولة الإسلامية ، وكان المهاجرون فقراء ، بعد أن تركوا أموالهم وذهبوا إلى المدينة فارين من مكة ومن عسف الكفار فيها . . فعمل الرسول نظام المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، والمؤاخاة هى أن يكون المهاجرون إخوة للأنصار ، فنجد أحد الأنصار يعرض على أخيه المهاجر نصف أمواله بل ويعرض عليه أن يختار واحدة من زوجاته ليطلقها فيتزوجها المهاجر . . إلى هذه الدرجة بلغ إيثار الأنصارى

للمهاجر . . فى نفس الوقت انظر إلى نبل المهاجر الذى رد على ذلك العرض قائلاً : «بارك الله لك فى أهلك ومالك ، دلونى على السوق» وذهب إلى السوق وعمل وتطور . عندما أقارن أنا هذا بموقف عاصرناه كلنا فى مصر عندما أخليت مدن القناة الثلاث وخرج منها أهلها وجاءوا على الريف المصرى ، فكان جهاز التليفزيون الذى يبلغ سعره ثمنمائة وخمسين جنيهاً وقتها . . كان يباع بعشرين جنيهاً . ! انظر هنا إلى استغلال الموقف . . وانظر هناك إلى الإيثار والتضحية والنبل ، تشعر فوراً أيهما أقرب إلى الإسلام وأيهما أكثر فهماً للإسلام ، فالإسلام فعل ، ففى كل الآيات الواردة فى الإيمان تجد قوله : «الذين آمنوا وعملوا الصالحات» . . لا الذين آمنوا وتمنوا عمل الصالحات . ليس هناك تمن ، الإسلام عمل وتغيير للحياة بحيث تصبح أرقى .

وقد كان يشاع أن الإسلام انتشر بالسيف ، ولكن أخيراً جاء علماء منصفون ومحايدون وقالوا إن الإسلام انتشر بسرعة لايمكن لأى سيف أن يحققها ، . إنما انتشر لأنه يحمل قوانين أفضل من القوانين الموجودة ، يحمل سلوكاً يومياً أفضل من السلوك الموجود ، يحمل نبلاً أكثر ، يحمل راحة أكثر للمجتمعات وإمكانات لنمو المواهب والطاقات وانطلاقها وعملها ، هذا ما نشره الإسلام . لقد جاء الإسلام بشريعة جديدة ودين جديد وأسلوب حياة جديد وفكر جديد يختلف تماماً عن الفكر الموجود بل أفضل منه ولذلك دخل الناس فى الإسلام .

ويقول الدكتور حسين فوزى فى «سندباد مصرى» إنه عندما جاء

عمرو بن العاص إلى مصر وذهب لزيارة قرية فى الصعيد ، خرجت له امرأة مسيحية ومعها طبق مغطى وفيه شىء وقالت له إنه هدية ، فلما وجد داخله جنيهات ذهبية اندهش لذلك وقال لها : «ماهذا؟» قالت له «هذا من عدلكم» وقالت له «لا ترد الهدية» . ما أريد قوله إنه إذا طبق العدل تغتنى الناس وتنطلق طاقاتها وتصبح راضية ، وهذا هو جوهر الإسلام .

●●● عالم الحيوان :

● الكاتب الكبير أستاذ أحمد بهجت هل طرأ على علاقة الإنسان بالحيوان فى هذا العصر تغير ما ترصده بوصفك من أهم اهتماماتك الحيوان وعالمه ، وقد أفردت له العديد من الكتابات ؟

ـ أنا أتصور أننا نتقدم فى إحساسنا بالرفق بالحيوان . فعندما نرى الرسول عليه الصلاة والسلام حتى فى ذبح الماشية يقول :

«إذا ذبحتم فأحسنوا الذبح !» .

وكان عليه السلام يهتم ألا يحمل ناقته أكثر مما تطيق ، كان يهتم ألا يحمل فرسه أكثر مما يطيق ، كان يقوم فى الليلة الشاتية ويفتح بابه لقطة تلتمس ملجأ من البرد . . قال الرسول عليه الصلاة والسلام :

«دخلت امرأة النار فى هرة حبستها فلا هى أطعمتها، ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض » .

وقال عليه الصلاة والسلام، إن رجلاً دخل الجنة فى كلب سقاه من العطش، وكان الكلب يشرف على الهلاك عندما ننظر إلى الصورة العامة نلاحظ أن نظرة المسلم إلى الكائنات التى خلقها الله تعالى نظرة احترام ، نظرة اهتمام بكرامتها ، أى كل ما خلقه الله تعالى من الخلائق له على الله تعالى كرامة ، الحيوان مسخر . ، ربنا سبحانه وتعالى خلقنا نحن البشر، والبشر أعلى الكائنات ، وسخر لنا جميع الحيوانات والكائنات الأخرى ، ولكن من المفروض أن هذا التسخير له حدود وله عقد وله اتفاق ، فالحمار والحصان والناقة والجمل كل هؤلاء لعبوا دوراً فى التاريخ الإنسانى ، ونهضت الحضارات الإنسانية عليهم حتى وصل الإنسان إلى اختراع البخار وتسخير الآلة والحصول على الطاقة ، واستغنى الإنسان عن الحيوانات ، إذن يجب على الإنسان أن يطعم الحيوان ويطببه ويحنو عليه ، بوصفه مخلوقا من مخلوقات الله تعالى .

ثم انظر إلى كافة شعوب العالم وكيف تقاس فيها درجة الرقى ، تجد أن درجة الرقى فى هذه الشعوب تقاس بسلوك الناس نحو الأطفال ونحو الحيوان ، إذن قل لى كيف تعامل الأطفال والحيوان أقل لك درجة رقيك .

● الرحالة الإنجليزى والمؤرخ الشهير «ديفيد لين» من ١٥٠ عاماً تقريباً فى زيارته لمصر كتب أن أشقى حيوانات الأرض هى التى تعيش فى مصر خاصة الكلاب والقطط ، هل أستاذ أحمد بهجت يرصد تغيراً على علاقة الإنسان بالحيوان فى هذا العصر ؟

ـ أنا أعتقد أنها تحسنت عند الذين تحسنت عندهم العاطفة الدينية ، كما أنك عندما تقول لشخص ما : «ارفق بهذا الحمار لأنه مصدر رزقك» يقول لك : «كيف لى أن أرفق به وأنا لا يرفق بى أحد ! » . . هى المشكلة أنه لابد للمجتمع أن ينمو نمواً كاملاً ، فأنت لاتستطيع أن تأتى لشخص مسحوق وتطالبه بأن يكون رقيقاً مع البشر أو مع الحيوان أو مشفقاً عليهما .

● **لكن هناك أيضاً تحسناً نجده فى حادثة مثل حادثة السيرك ، عندما كانوا يطالبون بإعدام الأسد «تونى» بعدما اعتدى على مدربه وهاجت الدنيا وارتفعت أصوات عديدة ومنعت ذلك ؟**

ـ تخيل أنت اعدام حيوان بلا ذنب ، عندما يكون الله سبحانه وتعالى خلق الأسد أساساً للافتراس ، وأمكن ترويضه وتدريبه ، ولكنه أخطأ وعاد لطبيعته التى فطر عليها . . نقتله ؟ أليس هذا ظلماً ؟

● **نعود للجانب الآخر الذى ذكرته كمقياس لرقى الأمم فى العصر الحديث ، وهو سلوكنا تجاه الأطفال ، ونسألك عن الظواهر التى ترصدها للطفولة المعاصرة وعلاقتنا بأطفالنا .**

ـ أنا أتصور أن هناك تقدماً فى هذا المجال ؛ أنت تعرف أن الإنسان يحب الخير لنفسه ، ولكنه . . يحب الخير لأبنائه أكثر مما يحبه لنفسه . . وهذه جبلة وفطرة فطر الله الناس عليها .

أنا ألاحظ هذه الأيام أن هناك اهتماماً أكثر بالأطفال ، وأنا أتصور أن

المكتبات التى أنشئت من أجل الأطفال فى الأحياء الفقيرة فى القاهرة وامتداد المشروع إلى المحافظات مسألة فى غاية الأهمية ، لأنه بغير أن نعلم الأطفال حب القراءة ، وحب الفكر وحب المثل العليا ، لايمكن أن نتوقع أن الجيل القادم سيكون أفضل من الجيل الحالى . واليوم وسائل التوصيل للأطفال تقدمت واختلفت وتنوعت وتعقدت . . فعندنا الآن الإذاعة والتليفزيون والفيديو والكاسيتات ، كل هذه وسائل تعليمية للأطفال ، ورغم جدتها إلا أن الكتاب يبقى هو الأساس ، ولذلك أنا أسعدنى وأرضانى كثيراً الاهتمام بمكتبات الأطفال لأن هذا هو الطريق السليم الأول ، فأبدأ بالكتاب فالإذاعة والتليفزيون ثم بقية صور التعليم ، إنما هناك اهتمام بالأطفال الآن !!

●●● التصوف رد فعل لمادية العصر :

● الكاتب الكبير أستاذ أحمد بهجت ننتقل إلى اهتمام آخر من اهتماماتك الشهيرة وهو موضوع «التصوف» . . ونذكر بحثك الشهير «بحار الحب عند الصوفية» وأسألك هل تعتبر أن التصوف رد فعل لمادية العصر ؟

ـ التصوف يكون رد فعل لمادية العصر لكنه فى الأصل فعل صحيح للإسلام إذا لم تكن فيه شطحات . .بمعنى أن الصوفية ينظرون للخلق وللخليقة على أساس أن الله تبارك وتعالى عرفنا قبل أن نحبه وأعطانا قبل أن نسأله ، إذن الله تعالى يحب الخلق ولولا أنه يحب الخلق ما خلقهم ،

ولذلك فإن العارفين بالله دائماً يذكرون الحديث القدسى القائل : «كان الإحسان قصدى من الخلق» لأن الله تبارك وتعالى غنى عن الخلق ، أى لو أن الناس كانوا على أتقى قلب رجل منهم مازاد هذا فى ملك الله شيئاً ، ولو كانوا على أفجر قلب منهم ما نقص ذلك من ملك الله شيئاً . التصوف هو النظر إلى الخلائق من منظور الحب ، وبالتالى تكون العلاقة بين الإنسان والخالق علاقة تعبدية منطوية على الحب ، والصوفية يرون أن كل مافى الكون ناطق بالحب شاهد عليه ، هذه الفكرة ، فكرة الحب هى فكرة نبيلة وجميلة وحقيقية ، لأننا بتعبدنا هذا ولو تعبدنا لمليون سنة ، لم نعط الله شيئاً ، ولو كفرنا لا ننقص منه شيئاً . . إذن الحب هو نقطة البداية التى يبدأ منها الصوفية أو العارفون بالله . . فى هذا المسار تتضح كل الأشياء ولايصير هناك شىء غامض أو شىء غير مفهوم ، لأن الصوفى حين يحب وحين يدرك أن الكون كله خلق من نسيج الحب ، حين يفعل ذلك يكون قد اختار الطريق السليم . أما مادية العصر ، فنحن نعيش فعلاً فى عصر مادى وفى حاجة أن نرقق من جفاف هذه المادية بالحب ، لأن بحث الإنسان عن التقدم المادى وحده يحوله فى النهاية إلى آلة استهلاكية بلا مشاعر وبلا تذوق ، ويتفسخ وينهار فى النهاية ، ولذا فإنه من المهم جداً للإنسان أن يعيش داخل إطار من الحب الإلهى ، حتى إننا نلاحظ فى القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى هدد المشركين لا بالنار والعذاب فحسب إنما قال :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾ .[1]

صدق الله العظيم

أى وضع الله سبحانه وتعالى الحب فى مقابل الشرك فلا يمكن أن ينتصر على الشرك إلا بالحب .

● **وهل تنسحب دعوتك أيضاً فى الانفصال بين الشكل والجوهر والقول والسلوك على بعض الفرق الصوفية التى تعيش بيننا الآن ؟**

ـ نعم، الصوفية جوهرهم سليم ولكنى لا أستسيغ شطحاتهم ، فذلك الذى يترك عمله ليجلس فى مسجد سيدنا الحسين لايعجبنى ! فأنت أمام الآلة فى المصنع تتعبد ، وأنت تكتب تتعبد ، وأنت تجرى عملية جراحية تتعبد ، وأنت تدرس للتلاميذ تتعبد ، لأن العبادة فى الإسلام نقطة هامة جداً ، العبادة فى الإسلام ليست قاصرة على حركات الصلاة والصيام والزكاة ، . العبادة فى الإسلام مستمرة طوال اليوم حتى وأنت نائم ! بدليل «قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين» وهذا ما يصل إليه الصوفية الحقيقيون أو الفاهمون وبـذا يكون مدركاً أنه وهـو يأكل يتعبد ،

---

(١) سورة المائدة الآية (٥٤) .

وهو يعمل يتعبد . . وهذه هى الفكرة التى كانت سائدة فى عصور ازدهار الإسلام ، وهذه هى فكرة الإسلام عن العبادة . .

●●● الشهادة فى سطور :

ـ أعتقد أن عصرنا رغم كل مافيه من سيئات هو عصر يتحرك نحو المشروع الحضارى الإسلامى المتكامل ونحن جميعاً نأمل أن يحقق الله آمالنا جميعاً فى عودة الإسلام إلى قيادة البشرية .

obeikandl.com